

# آفاق الأدب العالمي

## قصص عن (أوهام المنفى)

إن مجموعة القصص القصيرة هذه تكشف جيداً وضع الكاتب كلاجيء محصور بين عالمين ، أي في لا مكان . . . قصة «رقصة فالس لكاف» ، وهي عنوان الكتاب ، تجري في موسكو وتجرفنا دفعة واحدة الى عالم نصف واقعي ونصف خيالي .

يتمتع صاحب الراوي المفضل ، الذي يسكن غرفة مليئة بالكتب في منزل مشترك ، بموهبة السرقة . وسيتعلم منه بطلنا كيف ينام في الهواء الطلق ، كأنه احدى شخصيات «شاكال» ، وكيف يخلق فوق موسكو ، كما خلق «المعلم وماركاريت» ، بحثاً عن التأثير بكل شارع صغير ، وكيف يجامع في السماء الصافية ، بل كيف يرحل ويطير الى الأبد . باستطاعة السلطات ان تعاقب بشدة انتشار هذا الشذوذ الخطير ، هذا العطش الغريب لمكان آخر «يبعدكم عن الطبقات الشعبية» . . . لكن المنفى هو ، بالنسبة للجميع ، عودة قاسية الى الحقيقة (لقد حذر «مهندس سابق سوفيتي الأصل أصبح ، بملء ارادته متشرداً في باريس ، من أنه يقال إن الرجال الطائرين يفقدون الى الأبد طاقتهم على الطيران عندما يصلون الى الغرب»).

كيف يمكن العيش والاستمرار خارج شرنقة النوض الواقية؟ تروي قصة «شاطيء الستيكس الغربي» حكاية احتيال مضحكة قامح بها ، بواسطة بطاقة اعتماد ، صديق طفولة في جادة «رودستفيسكي» . وقد اصبح هذا الصديق مستخناً . «عرفت «ناتان اندرو» عندما كان لا يزال امرأة ، قال الراوي . كان ذلك في روسيا في الدتشانكا نضع بعض المربى» . كان «ناتان اندرو» يسمى حينئذٍ «ناتاشا اندريفانا» .

كانت شبيهة بأوزة بيضاء في الثامنة عشرة من العمر . أما الآن ، «ومع احتمال التغير ، فقد اختارت ان تتغير حتى النهاية» لم يتوصل الجميع الى هذا الحل الجذري وأكمل البعض تجارات صغيرة غير مشروعة مثل تحويل طابع تمثل «لينين» أو أوراق نقد في العهد القيصري الى عملة حقيقية او قطعاً من كوبكس الى «فيش» للهاتف النيويوركي . «كيف لأشخاص ألا يتوقفوا عن التفكير في المجيء الى هنا!»، يقول الراوي بضحكة هازئة وهو يتخبط في هذا «العالم الآخر» الذي هو العالم الغربي وينظر اليه دون حقد ولا

كثبت نيكول زاند في جريدة «لوموند» الفرنسية (١٥ شباط ١٩٨٥) مقالاً عن كتاب ديمتري سافتسكي الذي صدر حديثاً بعنوان «قصص قصيرة عن اوهام المنفى» نورد ترجمتها في ما يلي :

القصة القصيرة فن راقٍ يخلق نكهات أكثر ندرة وقوة ودقة من الاستغراق في كتب غليظة ومغذية . هي خطة كبيرة مبروزة بدقة تنبش حتى أقصى العمق . وقد تكون بالنسبة للكاتب تمريناً في الطهارة .

ذاك هو الشعور الذي يُستخرج من قراءة هذه القصص القصيرة الست للكاتب «دمتري سافتسكي» الصادرة حالياً عن مؤسسة «لاتس» هي ملذّة حقيقية للحواس والذكاء ، واقتناع ملكة تتوكد فيها وراء الحكاية وخط السير الشخصي .

لقد سبق ان تعرفنا على «سافتسكي» تحت اسمه المستعار «الكساندر ديموف» ، عندما أصر ان يفهمنا ، بطريقة افضل وبنظرة كانت لم تزل سوفياتية اللون ، حقائق الاتحاد السوفياتي والعالم الصغير للمثقفين واصحاب الامتيازات والمتحلمين . كما أفهمنا الأسلوب المتبع هناك لاكتشاف التراث الثقافي الروسي او موسيقى «الجاز» الأميركية ، اذا بذل المرء بعض الجهد ، وكذلك طبيعة الانسان السوفيتي المزوجة التي ترغمه ، منذ دخوله دار الحضارة ، على ان يكون «انساناً مزدوجاً» يمارس اللعبة المزوجة لكي يستمر في النظام . وقد ارسل لنا سافتسكي ، غير المتأقلم لا للحياة السوفيتية ولا للحياة الغربية مدّ قبال في روايته الأولى «قبات طيبة من لا مكان» هي نوع من الوداع لروسيا ، مطبعة بالوطن واليأس . . . وسيلة جذرية (أو على الأقل هذا ما يتمناه) لإستئصال الأرض ، مسقط رأسه ، دونما امل في العودة .

هذا الرجل البالغ من العمر الأربعين ، مهاجر روسي (طلب حق الإلتجاء السياسي سنة ١٩٧٨) وشاعر وصحافي وروائي لا يدخل ضمن صنف معتاد : فهو ليس منشقاً ولا غير منشق . فهم باكراً جداً انه سينتهي بمأزق إن بقي في روسيا ، ولكنه ادرك ايضاً أنه يستطيع ان يبقى كاتباً روسياً في أي مكان آخر في العالم . وستكون باريس بالنسبة له ، في نهاية المطاف ، مكاناً حيادياً يمكنه العيش فيها وممارسة هوايته : الكتابة ولعب التنيس .

حكم الأعدام . وقد شرح له أحد أعضاء مجلس الشيوخ قائلاً :  
 « يجب ان يكون الموت لامعاً وظاهراً وحادقاً . . . ان يكون  
 مؤلماً . . . وهكذا خلق الدكتور زن الكرسي الكهربائي . ولكن  
 المؤسف أن اختراعه الأخير والأعظم ، أي صيغة «الألة ذات  
 الحركة الدائمة المخصصة لإحداث انفجار لا يمكن لشيء ان  
 يوقفه » ، تلاشى في احدى الحرائق .

ان سخرية جويس كارول اوتس الكونية تطلق لنفسها العنان .  
 تأتينا حشمة تلك السخرية المتصنعة بتفاصيل مشاهد فجة (آه ،  
 الملذات الزوجية الشنيعة) . وتطلعننا الراوية على ما لاتستطيع  
 تسميته ، « بواسطة تلك الكلمات البدائية التي تشير الى بعض  
 اجزاء الجسد ، كلمات غريبة الى حد انني لا استطيع ان احزر  
 كيف كتبت » . تصف لنا الراوية ، الأكثر سادية من بطلات  
 باتريسيا ونورث واغاثا كريستي ، جرائم وتعذيبات لكنها تنحني امام  
 الخالق المذنب لتكشف لنا جحيم البراءة الأميركية .

### الرواية في اميركا اللاتينية

كتب «اغناسيو رامونيه» في جريدة «لوموند ديبلوماتيك» (١٩٨٥)  
 شباط ١٩٨٥) مقالة عن الرواية في اميركا اللاتينية بمناسبة صدور  
 رواية « ذاكرة النار ، للكاتب ادورد جاليانو . وهذه ترجمة المقالة :

هناك طريقتان او مدرستان في التحدث عن «العالم الجديد  
 المولود من اغتصاب» حسب رأي الكاتب الأوراجويي ادوردو  
 جاليانو . الأولى تمحص ، نوعاً ما ، استغلال هذا العالم وتشرح لنا  
 كيف استنزفت هذه الأرض من ثرواتها عبر الأجيال ، وهذا ما  
 سبق ان ذكر به الكاتب في دراسة قوية ووجدانية وانفعالية بعنوان :  
 « شرايين اميركا اللاتينية المفتوحة » (باريس ١٩٨١) .

لكن باستطاعتنا أيضاً ان نظير من ذكرى الى اخرى في ذاكرة بناء  
 العالم الجديد المضطربة . هذا ما اقترحه الكاتب في كتاب « ذاكرة  
 النار» الذي يكون الجزء الأول من ثلاثية عن تاريخ الرجل  
 الأميركي .

هل كتاب ادوردو جاليانو رواية ام دراسة تاريخية ام شعر منثور ؟  
 الواقع أن كتابه لا يندرج تحت أي من هذه التصنيفات بالرغم من  
 اشتراكه في ثلاثتها . هو نوع من الزجاجية المتعددة الأصوات  
 والفيسفائية . باختصار انه تتابع مقاطع يستدعي فيه الكاتب ،  
 بواسطة لغة جد خيالية ، الأحداث والأفكار والرجال الذين  
 اختلقوا اميركا .

ان اسلوب هذه الرواية الغربية مرتبط بالطبع ، بالتقليد  
 الملحمي والملحمية . غير ان ادوردو جاليانو يلجأ ، أيضاً ، الى  
 مدرسة اميركية لاتينية صحيحة ، الى الأدب « الواقعي - الخارق »  
 الذي نظر له الكاتب الكوبي الأصل «أيهو كاربنتيه» . هذا النسب

حسد . مستعداً لأن يسد أذنيه بواسطة «أقراص لوديوك فان»  
 المتنامغة . هو مسكون ابدأ بالموت الذي يأخذ النساء اللواتي يقترب  
 الراوي منهن واحدة تلو الأخرى . انه مأخوذ برؤية جثة فظيعة ،  
 جيفة كلب لمح على شاطئ افريقي .

يملك دمترى سافتسكي شراسة طريفة وشهية في وصف عالمه :  
 نيويورك وافريقيا وموسكو ومالطا وباريس . ليس عالمه بجنة ولا  
 جحيم ، بل هو مزيج معقد لا يدري سافتسكي كيف يحفر لنفسه  
 حفرة فيه . يقول : « كان من الواضح اننا ارخيننا القلوس واننا  
 تركنا الشاطئ الآخر . لكني رفضت ان اصدق اننا لم نرس في  
 اي مكان » . تابعوا دمترى سافتسكي . لن تدموا .

### بنات الدكتور زن الخمس

كتب غابرييل رولن في جريدة «لوموند» (١٥ شباط ١٩٨٥)  
 مقالاً عن كتاب «اسطورة بلود سمور» للكاتبة الأميركية جويس  
 كارول اوتس نورد ترجمته هنا .

لم تكن نساء العصور الماضية تتنفس البتة . كانت «تجسد  
 الشخصية التي نسبها الله لها» ، اذا صح التكلم عن شخصية ،  
 والأصح التكلم عن دمية تُحرَّك بالخيطان ، أو عن امعة . هل لهنَّ  
 جسداً فحسبُ تحت طبقات تنانيرهنَّ وتنانيرهن الداخلية او تحت  
 مخصرهنَّ المشدود؟ الويل للواتي يطرحن على انفسهن هذا السؤال  
 الذي يتسبب في ايقاظ «الحيوان» ونسيان فرضهنَّ ومهمتهنَّ  
 الوحيدة المقتصرة على بقاء الجنس البشري . بالرغم من هذا ،  
 كانت الصبيات الخمس يتساءلن . فقران الأخت الكبرى جعلهن  
 كئيبات . شعرن بلغز لم تكن كتب التربية - مرشد السلوك  
 للشبان المسيحيين «أورزنامة الزوجة الصبية ص» - لتبوح بجواب  
 له . «آه! كم اريد أن . . . كم أريد أن . . . لا ادري ماذا . . .»  
 ويتنهَّدن !

سوف تأخذ الحياة على عاتقها ان تعلمهن . كلُّ منهن ، امام  
 عين الراوية الناقمة والمذهولة ، ستجز قدرها ، ستهرب الكبرى  
 من السرير الزوجي قبل «الكشف» ، وستشق الوسطى ، التي  
 لا عيب فيها ، زوجها الداعر ، مصادفةً . اما الثالثة فستعرض  
 نفسها لنيران المذلة وتغرق في الفسق وستجنب الرابعة ، المثقفة ،  
 العزوبية وتعقد زواجا لا يلائم ظرفها الاجتماعي . وأما  
 خامسهنَّ ، التي تقع فريسة الأرواح التي تستدعيها ، فتكاد أن  
 تلامس الجنون .

وهل الرجال أكثر اتزاناً؟ بالطبع لا . فانظروا الى أحسنهم ،  
 «جون كوني زن» ، والد اولئك النسوة . فهو ، كجميع  
 الأميركيين ، «المؤمنين على التقدم» ، واع لمهمته في احياء العالم .  
 قد كرس نفسه للاختراعات الانسانية . يتجرف احياناً بعواطفه  
 فيعيده «الكونجرس» الى النظام : انه من غير المستحب ان يحفف

الشمالية وجزاروها وتجار العبيد الهولنديون او الفرنسيون . . . لقد غرست اوروبا بأكملها السيف في جسد أميركا الهاديء لإفراغها من ثرواتها وروحها .

يجول ادوردو چاليانو الشخصيات التاريخية الى شخصيات روائية. ويفهمنا بطريقة افضل، بواسطة الانفعالات والأحاسيس، مولد عالم متميز . ما يقوله الكاتب عن الغازي الثائر- هذا الشخص الأصيل والمذهل « لوب دي آجير » الأور الأعرج ، يكاد ان يكون قزماً ذا جلد حرقته الشمس، هذا الشخص الذي ألهم المخرج السينمائي الألماني ورنر هيركوز (آجير، غضب الله ١٩٧٤) والروائي القنزويلي هيجال اوتيرو سيلفا (لوب دي آجير ، امير الحرية . باريس ١٩٨٠) - يلخص بذاته عقدة المشاعر المتناقضة . ففي هذه العقدة تختلط الاثارة والغزو والندم على التهديمات بالثورة ضد التاج والطموح الاستعماري . ويعلن الكاتب ولادة انسان جديد سيحمل ، في بداية القرن العشرين ، راية الاستقلال الأميركي اللاتيني الذي سيخبرنا عنه ادوردو چاليانو في المجلد القادم .

شرعي ، ذلك لأن الأدب الأميركي اللاتيني ولد ، بالتحديد ، أثناء « الاكتشاف » عندما حصلت معادلة شاذة بين « الخارق » الذي توقعه الاسبانيون و« الواقع » الذي اكتشفوه . ان عالم « الأنتيبي » مثلاً- هذه الكلمة التي تم استعارتها من الروايات الفروسية التي قرأها الغزاة ، شأنها شأن كلمتي «كاليفورنيا » و« الدورادو » - يظهر لهم وكأنه يطابق وصف جنة عدن مطابقة تامة . وماذا يقال عن هؤلاء الرجال الصغار الذين ولدوا في هضبات «الكاستيل » أو «الاسترامادورا » القاحلة عندما اجتازوا المناظر الأكثر جسامة في العالم : الأند والامازون والباسيفيك ؟ . . .

« كطيران سنقر » ، انهاروا على هذه الأراضي الأسطورية وغالباً ما سحقوا الرجال والحضارات « في سبيل مجد الله الأكبر » . ان ادوردو چاليانو يجد سحر اللغة لكي يصف الكونيات المتناغمة للعالم ما قبل الكولومبي وطعم العنف الذي تذوقه المحتلون والباحثون عن المجد والطامعون في الذهب ، وهؤلاء يأتون من كل مكان ، ومن اسبانيا والبرتغال بالطبع . لكن الكاتب يذكرنا بان «تهديم الهند» سببه القراصنة الانكليز ومستوطنو اميركا

## دار الآداب تقدم

السياسة جعلت الناس ، في جميع الازمان ، مجانين او متوحشين او خطرين ، وبكلمة واحدة ، فاقدى العقل . هذا ما يقوله الرأي الشائع .

والحق أن لكل انحراف عقلي سببه ، ولا شيء يتم بلا علة . هذا ما يقوله الحس السليم .

ومن هنا السؤال المحرج : لماذا ينبغي ان تزيغ عقول الناس بمجرد ان يعيشوا في مجتمع ؟

الجواب هنا يتخذ شكل صعود نحو وضع إمكان الهذيان الجماعي وهو يبدأ بفحص خطابات الهذيان ( وهي اليوم ايدولوجية ) وينتهي بفحص البنية المنطقية لجماعة مستقرة . وينتج من ذلك أن « عدم اكتمال » أية مجموعة مغلقة يحدد الاستعمال الممكن لقابلية البشر للتصرف والانتظام جمعياً . وهو ضغط ملزم يطلق عليه التقليد النقدي صفة « نظام » .

يقول ريجيس دوبري « طويلاً ما أخفت السياسة عني السياسي » . انها تخفيه ، ليس بمعنى ما يخفي القطار قطاراً آخر ، بل بمعنى ان أي قطار يخفي السكك التي يجري عليها . هناك مسافات كثيرة ، وشرعات كثيرة ، ولكن هنا سكة حديد واحدة ، سكة صليب .

وهذا النقد للعقل السياسي ، إذ يثبت على مادي دقيق الطبيعة الدينية للوجود الجماعي ، يكتشف ، في تطبيق التنظيم ، ثوابت يشكل مجموعها « اللاشعور السياسي » للانسانية ، او بكلمة أفضل : حضورها الأبدي .

ويستطيع المؤلف ان يكرر قوله : « انا لا أواجه خطر أن اناقض ، بل خطر ألا أفهم » .

# نقد العقل

# السياسي

تأليف :

ريجيس دوبريه

ترجمة :

الدكتور عفيف دمشقية